العرب
السبت 2021/10/30
السنة 44 العدد 12225

قرداحي وآخرون: القومية عربية والروح فارسية

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

لم أستغرب ما ورد على لسان وزير الإعلام اللبناني جورج قرداحي من انحياز كامل لميليشيات الحوثي وتحامل مبالغ فيه على السعودية والإمارات، فمثل تلك المواقف أصبحت موضة بين النخب في أغلب الدول العربية، وبخاصة بين من يزعمون الثورية والتقدمية، ومن يتبنون الأيديولوجيات الفكرية والعقائدية المتطرفة يمينا ويسارا، ومن يرقصون على دفوف الطائفية والمذهبية المقيتة، أو يدورون في فلك المشاريع الإمبراطورية التوسعية الإيرانية والتركية.

قرداحي، يعتبر نفسه من رموز "الممانعة" الثقافية والإعلامية، ولاسيما بعد أن أصبح من صنّاع الرأي العام من خلال وظيفته الأصلية كمذيع وصل إلى مرتبة الصدارة بين أشهر وأغلى نجوم الإعلام الخليجي، السعودي بالأساس. والحقيقة أن لا أحد يمكنه أن يشكّ في جدارته بالنجاح والنجومية والعقود الضخمة التي كان يحظى بها، كما لا أحد يمكن أن ينازعه حقه في التعبير عن آرائه ومواقفه، ولكن واجب التحفظ قد يكون الحل المناسب عندما يتعلق الأمر بجهات يفترض أن لها أيادي بيضاء عليه.

من خلال "برلمان الشباب"، وهو إحدى منصات شبكة "الجزيرة" الإخبارية القطرية، تم جر قرداحي ليعلن موقفه من الأزمة الدائرة رحاها في اليمن، ويقول إن "الحوثيين يدافعون عن أنفسهم في وجه اعتداء خارجي". وعندما سئل عما إذا كان يعتقد أن ما تفعله السعودية والإمارات هو اعتداء على اليمن قال "إن هناك اعتداء بالتأكيد وإن الحرب في اليمن حرب عبثية يجب أن تتوقف"، وقد كان واضحا أن فريق إنتاج المقابلة هدف للوصول إلى تلك النتيجة، وسعى من أجل تحقيقها، وأن قرداحي ممتلئ بشعارات حزب الله المعادية للسعودية والإمارات، والمدافعة بكل قوة عن ميليشيات الحوثي إلى حد القتال في صفها ضد الشرعية وضد الهوية العربية لليمن.

تم ترشيح قرداحي لمنصب وزير الإعلام من قبل تيار المردة بزعامة سليمان فرنجية، ووجد ذلك هوى لدى الرئيس عون والتيار الوطني الحر، ولاسيما أن قرداحي معروف بدورانه كمتصوف في حلقة حزب الله، وبانتمائه إلى الطيف المسيحي المتحالف مع القوى الشيعية المرتبطة عقائديا وسياسيا بالمشروع الفارسي الإمبراطوري التوسعي الذي يناصب دول الخليج العداء، ويعمل على محاصرتها عبر تمدده في العراق وسوريا ولبنان واليمن. وقرداحي هو نموذج من فئة منتشرة في المنطقة العربية، تدعي اعتناق الفكر القومي العربي، وتتحالف ضمنيا مع أعداء العروبة، وتقف في صفهم بزعم الانتماء إلى محور المقاومة الذي تحول إلى حصان طروادة لاختراق المنطقة.

جورج قرداحي نموذج من فئة منتشرة في المنطقة العربية تتحالف ضمنيا مع أعداء العروبة وتقف في صفهم بزعم الانتماء إلى محور المقاومة الذي تحول إلى حصان طروادة لاختراق المنطقة

فالبعث كما هو معلوم بعثان؛ أحدهما وهو السوري يكاد يكون قوميا فارسيا واشتراكيا على مذهب الملالي، فيما حافظ البعث العراقي على وعيه العميق بطبيعة الصراع القومي التاريخي مع النزعة الإمبراطورية الفارسية التي كانت دائما تحمل مشروع التوسع على حساب العرب، وقد ألبسته خلال العقود الماضية جلباب الطائفية المقيت سيرا على نهج إسماعيل الصفوي الذي كان وراء فرض التشيّع على الإيرانيين، ليجعل منه غطاء لمشروعه القومي العابر للحدود.

كما يبدو أن الناصريين انقسموا على أنفسهم، وأصبح جزء غير يسير منهم يدور في فلك المشروع الإيراني، بزعم الانخراط في محور المقاومة، وبدعوى الوقوف ضد الرجعية العربية، في إشارة إلى الدول التي اختارت العلاقات مع الغرب منذ خمسينات وستينات القرن الماضي، ونأت بنفسها عن الصراعات في إطار الحرب الباردة التي كانت قائمة بين واشنطن وموسكو زمن الاتحاد السوفييتي المندثر، والتي صبّت كل اهتماماتها على شؤونها الداخلية، ولم تعتمد على تجييش المشاعر بالشعارات التي ثبت على امتداد العقود الماضية أنها جوفاء، وفي زمن الامتحانات الصعبة تبين أنها الوحيدة التي استطاعت الصمود والحفاظ على دولها الوطنية، بل إن دول الخليج التي يتهمها أدعياء التقدمية الزائفة بالرجعية هي التي حققت أعلى درجات النمو، وحققت الرفاه لشعوبها، وحققت النماء لمجتمعاتها، وقدمت المساعدة والدعم لمن عصفت بهم رياح الصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية.

كما أن ما كانت توصف بالدول الرجعية لم تنخرط في جبهة الصمود والتصدي التي تشكلت للرد على اتفاقية كامب ديفيد في العام 1977، وكانت تضم كلّا من ليبيا التي انتهت إلى حرب وانقسامات ومؤامرات وخيانات، وسوريا التي واجهت احترابا أهليا غير مسبوق، وتعرض الملايين من أبنائها للقتل والتشريد والتدمير النفسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ولا تزال أجزاء من أراضيها تحت احتلالات مختلفة، والعراق الذي تعرض للحصار القاتل ثم إلى الغزو المدمّر فإلى التقسيم الطائفي وعبث الإرهاب وسيطرة الميليشيات وعنجهية الحشد الشعبي، والجزائر التي واجهت عشرية دموية وخرّبها الفساد ولا تزال تحت سيطرة أوهام السيطرة على المنطقة، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي انتهت إلى الوحدة مع الشمال في العام 1990، ما جعلها تدخل لاحقا في دوامة الحروب والصراعات وصولا إلى وضعها الحالي المأزوم، ومنظمة التحرير الفلسطينية التي انتهت بدورها إلى عقد اتفاقيات سلام مع إسرائيل، وإلى الانقسامات في داخلها، وإلى العزلة على أكثر من صعيد.

كثيرون هم أدعياء القومية العربية الذين يدافعون عن الحوثيين، وهم في الأصل يدافعون عن المشروع الإيراني، ولا يرون مانعا من فتح أبواب ونوافذ بلدانهم لاستقبال الغزاة الفرس بزعم الانخراط في مشروع المقاومة والممانعة، فيما يهاجمون دول الخليج العربي، وعندما تضيق السبل بدولهم لا تجد إلا تلك الدول لتمد لها يد العون والسند. ولعل اللبنانيين والفلسطينيين وغيرهم يدركون مدى ما قدمت لهم السعودية وشقيقاتها، ولكن النزعة العدائية تجاهها ترتبط بغياب العقل وضبابية الرؤية والمفاهيم وبإرث الخمسينات والستينات، وبالعجز عن قراءة المستجدات الثقافية والحضارية على حقيقتها، فما توصف بالدول الرجعية هي التي أثبتت أنها تقدمية بنجاحها في خدمة شعوبها وتحديث مناهجها العلمية والعملية وتطوير أدائها الاقتصادي والاجتماعي وبتكريس عقلانيتها السياسية ومسابقتها للعصر في مختلف المجالات وعلى جميع الأصعدة.

استطاعت دولُ الخليج والأردن في المشرق والمغربُ في أقصى غرب المنطقة العربية أن تحافظ على بنيتها الوطنية للدولة وسلامتها الترابية، وهي من الدول التي طالما اتهمت بالرجعية، وحتى الدولتان "الرجعيتان" اللتان زارتهما عاصفة الربيع العربي وهما تونس ومصر، كانتا الأقل خسائر والأكثر قدرة على تجاوز الأزمات، فيما دخلت الدول "التقدمية" في تصدعات وانشقاقات وانهيارات، ولاسيما العراق وسوريا واليمن والسودان، ومع ذلك لا يزال الهائمون في صحراء الأيديولوجيات العقيمة يتاجرون بالأوهام، ويروجون للمفاهيم الثورية الصدئة، وبعضهم يتبنى القومية العربية ويضع البيض في سلة الإسلام السياسي بشقيه الشيعي المرتبط بإيران والسني المشدود إلى طموحات رجب طيب أردوغان.

لم يكن لبنان في حاجة إلى المزيد من التأكيد على أنه دولة مختطفة من قبل حزب الله وحلفائه ممن يريدون انتزاعه من جذوره العربية ليكون مجرد عربة في قطار الأطماع الفارسية، لكن تصريحات قرداحي جاءت لتصب الزيت على النار، ولتؤكد أن العداء للسعودية والإمارات بالذات بات عقيدة لدى البعض، ومصدر رزق لآخرين كثر، خاصة لمن يحاولون تقديم فروض الولاء والطاعة للإيرانيين والأتراك، وكذلك بعض العرب ممن لا يزال في قلوبهم مرض لا يسعون للتخلص منه، بل ولا يريدون، رغم ما يطلقون من وعود في الجلسات المغلقة.

حاول قرداحي تبرير موقفه بالقول إن هذه المقابلة أجريت في الخامس من شهر أغسطس الماضي، أي قبل شهر من تعيينه وزيراً في حكومة الرئيس ميقاتي، وتابع أنه لم يقصد بأي شكل من الأشكال الإساءة للمملكة العربية السعودية أو الإمارات اللتين يكنّ لقياديتهما وشعبيهما كل الحب والوفاء. ولكن، أي حب وأي وفاء إذا كان الأمر يتعلق بوقوفه مع الطرف المقابل في معركة مصيرية، بل هي معركة حياة أو موت. وعندما تحارب السعودية والإمارات فإنما تحاربان دفاعا عن وجودهما وعن أمنهما وعن أمن العرب القومي، أما الحوثي فقد كان المبادر بالانقلاب على الشرعية والانطلاق من حيز جغرافي في صعدة ليغزو صنعاء وليسيطر على مؤسسات الدولة ثم ليتمدد إلى كافة أرجاء اليمن بما في ذلك الجنوب، مندفعا بعقيدة مستوردة من إيران وغايته السيطرة على بحر العرب وخليج عدن ومنطقة القرن الأفريقي ومحاصرة السعودية من الجنوب وتهديد أمنها واستقرارها.

استفاد قرداحي كثيرا من السعودية والإمارات، بل إن تجربته الحقيقية مع النجاح والنجومية كانت من خلالهما، ولو لم تبث "الجزيرة" ذلك الحوار ما كان لأحد أن يكتشف موقفه الحقيقي منهما، وحقيقة ولائه الكامل للمشروع الإيراني من خلال دفاعه المستميت عن الحوثيين. وقد يكون هناك من يحملون نفس قناعات قرداحي، ولكن الثابت أنهم لن يغيروا الواقع ولن يحددوا ملامح المستقبل، ربما لسبب واحد وهو أن الدول القوية لا تهتم بالشعارات الجوفاء، ولغة العقل هي التي ستنتصر على مدغدغي المشاعر الخاوية، و"الرجعيون" عند ورثة الأيديولوجيات الصدئة باتوا الأكثر تقدمية في الرؤية والاستشراف والعمل وتحديد الأولويات والأهداف وصناعة الثورات الهادئة والتغيير الحقيقي الذي يؤثر إيجابا على حياة الشعوب والمجتمعات.

بين جبل مران وجبل مراد

صالح البيضاني
صحافي يمني

بات واضحا وجليا أكثر من أي وقت مضى أن نتائج الأخطاء التي رافقت إدارة معركة اليمن في مواجهة إيران ومشروعها الحوثي لا يمكن عكسها بعد أن وصلت الميليشيات الحوثية إلى مشارف مأرب في رحلة بدأت من جبل مران ووصلت اليوم كما تقول الأخبار إلى جبل مراد الذي يحمل اسم أكثر قبائل اليمن بأسا في مواجهة الحوثي وأكثرها تضحية في سبيل هزيمة المشروع الإيراني.

وبين جبل مران وجبل مراد تاريخ طويل من الأخطاء الكارثية التي وقعت فيها النخب السياسية والمكونات اليمنية التي تقف في معظمها اليوم عاجزة عن إبداء أي موقف أو التقدم بأي مبادرة لإيقاف عجلة الانكسارات المتتالية التي نشاهدها اليوم في جبهات ظلت صامدة لأكثر من سبع سنوات كسد منيع أمام جحافل الحوثيين وما يمثلونه من فكر ثقافي واجتماعي وسياسي دخيل على اليمن.

وما يحدث اليوم كما أشرنا آنفا هو حصاد سبع سنوات من الإخفاقات والخيانات والفساد الذي طالما تحدث وكتب عنه الكثير من اليمنيين، من دون أن يتردد صدى أصواتهم سوى في الفراغ، حيث كان نباح "كلاب الحراسة" التي تم تسمينها لتسييج هذا الفشل وتجميد صورته مرتفعا وحائلا دون تعرية الفاسدين والمنتفعين والمتخاذلين وحتى الخونة الذين وجدوا من يحوّل فشلهم إلى انتصار وكذبهم إلى قصائد.

وفي هذا المشهد المأزوم الذي يعيشه اليمن والمنطقة عموما يبدو إسداء المزيد من النصائح ضربا من العبث، فمن أصم أذنيه عن سماع النصائح عندما كانت مجدية لن يتقبل اليوم أي نصيحة وهو غارق حتى أذنيه في وحل الفشل والهزيمة التي ما كان لها أن تكون لولا أحصنة طروادة التي ملأت السهل والجبل وعبثت بمشروع تحرير اليمن من أذيال إيران الذين حصلوا على أكثر مما يتمنون ويستحقون، نتيجة غياب الإرادة والإدارة والحافز والرؤية لدى من تصدروا الشرعية!

وعندما نتحدث عن الفشل ونهيل التراب على رؤوس المتسببين به نحن لا نقصد أبدا من تعفرت وجوههم بغبار الجبهات وتقطعت أطرافهم بفعل القذائف والألغام، فخلف سبع سنوات من الصمود في وجه الميليشيات الحوثية هناك الآلاف من المقاتلين ورجال القبائل الذي أعاقوا عجلة المشروع الإيراني في اليمن وقدموا تضحيات تفوق الوصف وملأت شواهد قبورهم الأفق.

في هذا المشهد المأزوم الذي يعيشه اليمن يبدو إسداء المزيد من النصائح ضربا من العبث، فمن أصم أذنيه عن سماع النصائح عندما كانت مجدية لن يتقبل النصيحة وهو غارق في وحل الهزيمة

والحقيقة الماثلة للعيان هي أن اليمنيين أو جلهم قدموا تضحيات جسيمة كانت كفيلة ليس فقط بهزيمة المشروع الإيراني في اليمن، ولكن في المنطقة كلها إذا وجدوا من يقدّر تضحياتهم ويقود قطار التحرير، ويختطف اللحظة التاريخية ويقطف ثمار عشرات الثورات والانتفاضات التي اشتعلت في مختلف مناطق اليمن لمواجهة الحوثيين لكن المطاف انتهى بها وحيدة مخذولة وبلا رديف سياسي أو جيش حقيقي!

ومع ثقتي المطلقة المبنية على قراءة الماضي واستشراف المستقبل في أن التحولات التي نشهدها اليوم على الصعيدين العسكري والسياسي على ما فيها من سوء إلا أنها قد تكون بداية مرحلة جديدة لن تنتهي فيها كوابيس الميليشيات المدعومة من إيران بقدر ما تبدأ، إلا أن الوقت لم يفت تماما على استدراك بعض ما فات وتصحيح بعض الأخطاء، على الرغم من حالة النشوة الظاهرة التي تبديها تلك الجماعة المزهوة بانتصارات ليست سوى بداية لفصل جديد من الصراع الذي لم ينته في اليمن منذ ألف عام بين مشروع يسعى لاستعباد اليمنيين وقهرهم وبين شعب يمر بمراحل ضعف ومرض طويلة ولكنه "يأتي من آخر القتل أعصف" كما هو حال مصطفى في قصيدة شاعر اليمن الكبير عبدالله البردوني.

وإيقاف عجلة التنمر والغرور الحوثي اليوم ليس أمرا مستحيلا باعتقادي ولكنه بحاجة إلى قرارات شجاعة وجريئة ومراجعة شاملة وإعادة النظر في قيادات الفشل السياسي والعسكري التي لم تعرف سوى الهزيمة والإخفاق طوال سبع سنوات، فمن تعيش أسرته في لندن وبرلين أو إسطنبول وتقبع أمواله في خزائن بنوك سويسرا وبنما وجزر فيرجن البريطانية، ومن يشتري بأموال الفقراء جنسيات دومينيكا وسانت كيتس ونيفيس لن يستطيع هزيمة الحوثيين!

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk